

ناظورة المفاتيح

....

في غرفة استقبال قصر الملك العالي فوق أجمل التلال وأكثرها خضرة تجلس (زاد الخير) وبعض الموظفين والأفراد انتظاراً لقدم الملك والحاشية ما لبثوا أن هبوا وقوفاً مع صوت البوق والطبول والصنج وإطلالة الموكب مردين بصوت مرتفع (مَوْلانا المَلِك مَوْلانا المَلِك عاش عاش عاش) ويجلسون بعد جلوس الملك وجاد الحكيم وقائد الحرس فتسود برهة من الصمت يتناول الملك خلالها كأساً من النبيذ الأحمر ويتفحص الحضور الذي تقف من بينهم زاد الخير دون استئذان متوجهة إليه بمظهرها البسيط ماسكة يدها اليسرى بيمينها إيحاءً بالألم ثم تتحرك في مكانها بدون حرج أو مهابة وتقول بصوت مرتفع ونبرة سريعة:

زاد الخير: أنا إسمي زاد الخير، عندي عنزة وكام ذجاجة
إجؤ بدن مصاري وما معي ولا بارة.. هه هه هه !!
جاد الحكيم: بالأول بوسي إيد المَلِك

تقبل الفتاة أصابع يدها وترسل القبلة عبر الهواء إلى الملك وتتنظر إلى جاد الحكيم (بسناها) ثم تعود بنظرها إلى الملك متجاهلة متطلبات الهيبة الملكية:

زاد الخير: قلن يصيرو علي شي يومين تلاتة
جاد الحكيم: واستأذني بالكلام

تعيد زاد الخير النظر في وجه الملك (عن إنك) ثم في وجه جاد الحكيم بكثير من اللامبالاة (استأذنا) ومرة أخرى إلى الملك:

زاد الخير: تَكْفَيْلِكَ الخَيْرِيَّة.. قامو جابوني ع السخرة.. أنا طلبت مقابلتك، بدّي
إتشكالك.. برمولي إيدي، فكشولي ياها
الملك: بس بس.. فهمت، إنتي ما دفعتي

....

ينتقل بنا المشهد التالي إلى الناس وردود الأفعال تجاه خبر اعتقال مراد الأسمر الذي ينقله كبير الأهالي (بربر) محرّضاً على التمرد (ولأي متى بدنا نضل ساكتين؟ لآي متى بدو يضل ينهبننا الخوف؟) لانما نفسه والآخرين على الرضوخ (صيرنا مثل الحيطان.. بيضربونا ما منتحرك) ومتسائلاً (ليش ما منرقع صوتنا ومنصرخ؟)

بربر: لازم البرج العالي يوقع.. لازم الرماح القاسية تتكسر. شو بينا مكممين مثل
الحصر العتيقة وعيوننا صوب الأرض؟ احتجوا.. قوموا، صرخوا، اهجرو..
الحالة ما بقى تنطاق!!

يتحاور الأهالي ويؤكد بربر بأن الرحيل هو الحل (إذا في ناس عندن كرامة، بليلة ما فيها ضوء قمر، مثل رفوف الطير بيهاجرو عن هالمملكة وبيتركولو البيوت الفاضية وصوت الدياب)، وإذا يعترض البعض على هذا العرض (أفكارك بتخوف) وتبرر إحدى النسوة استسلامها بعد أن أقلقها

حمل (السُّلْمُ بِالْعَرَضِ) براحة البال الناتجة عن لامبالاتها (ارْتَحَتْ وَصِرَتْ نَامَ وَإِحْلَمَ وَصَارَ عِنْدِي وَقْتُ لِلضَّحْكِ) ولكن موقع بربر لا يسمح له بالاستسلام (مَاعَادَ فِيِّي طَبِيقَ الظُّلْمِ) ولا يريد الأهالي أن يطغى الحزن عليهم والمقت مع الحديث عن الملك وظلمه وحالة القهر فتقترح تلك السيدة تحاشي ذكر سيرته (بَلَا سِيرْتُو) وتتحول العبارة إلى أغنية مرح وتسلية خفيفة بعيداً عن بؤسهم وحالة الظلم

الجميع: بَلَا سِيرْتُو
ياجماعة اسمعو مني بَلَا سِيرْتُو
رجل: آخ عَلَى هَالِيَّام
الجميع: بَلَا سِيرْتُو

....

عبر ترويجة موسيقية هادئة يعود بنا المشهد التالي إلى الأهالي وقد عزموا على الرّحيل بدلاً من الاستعداد لاستقبال الملكة. بربر الذي وصلت به الأمور إلى حد العجز عن فعل شيء يقي أبناء بلده من بطش وتعسف الملك وبلاطه واليأس من إمكانية تغيير الحال قرر تنظيم وتنفيذ خطة مقاومة سلمية تضعف الملك المغرور وتفرض الإرادة الشعبية عليه. على زوايا خشبة المسرح الأربعة تُظهر إضاءة خفيفة وسط العتمة أربعة فوانيس خافتة النور تتحرك باتجاه المركز يحملها رجال تبدو عليهم هيئة الحذر والحيطة يقترب منهم بربر ويده فانوس فيدور بينهم الحوار المنعم:

بربر: يَا إِخْوَانِ.. كِلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَتَوَجَّهْ عَ مَنْطِقَةَ
الرجال: بِأَمْرِكَ يَا بَرَبِرْ
بربر: وَيَتَقُولُوا لِلرُّعْمَا يَسْتَعِدُّوْا لِلرَّحِيلِ حَسَبَ مَا اتَّفَقْنَا
الرجال: بِأَمْرِكَ يَا بَرَبِرْ
بربر: قَوْلُونْ مَا يَضِلُّ حَدَا، كِلُّنْ لَازِمٌ يَرِحَلُوْا. رُجَالِ، نِسْوَانِ.. وَوِلَادِ وَشِيُوخِ،
كِلُّنْ لَازِمٌ يَرِحَلُوْا. خَلِّي الْمُدُنْ تَقْضَى وَيَتَسَكَّرَ الْبَيْوتِ.
الرجال: وَأَيُّ مَتَى الرَّحِيلِ؟

....

ينكشف المشهد على الملك في ديوانه وأمامه قائد الحرس يسوق زادالخير بعد فشله في تفتيش منازل الناس. يسأله الملك (حَقَّقْتُو بِأَمْرَ الرَّعِيَّةِ؟) ولا يستوعب إجابات القائد (مَافِي رَعِيَّةِ) و(هَرَبِتِ) ظانناً بأن القائد لم يفهم السؤال فيكرر (الرَّعِيَّةِ.. الرَّعِيَّةِ؟؟) فيعيد القائد نفس الجواب (هَرَبِتِ). يثور الملك ويصرخ:

الملك: أَلَا فِ النَّاسِ، الْمُدُنِ، الشُّوَارِعِ.. الْجُمَاهِيرِ الْغَفِيرَةِ اللَّيِّ كَانِتِ تَهْتَفُ
"عَاشَ الْمَلِكُ"، كِلُّنْ هَرَبُوْا؟ مَعْقُولِ؟؟
القائد: هَايْدَا اللَّيِّ صَارِ. الْمَمْلَكَةُ صَارَتْ مَهْجُورَةً.. شَمَلْنَا الصَّمْتِ،
وَمَا بَقِيَ إِلَّا زَادَالْخَيْرِ وَخَيَالَاتِ الْحَرَسِ

....